الدروس المستفادة من الهجرة النبوية

الدكتور/ داوود المندعي

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك

كلية التربية – جامعة صنعاء

2003
١٤٢٤
جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية
Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

الدروس المستفادة من الهجرة النبوية

أخرج الله تعالى بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم الناس من الظلمات إلى النور وغيَّر محمد صلى الله عليه وسلم وجه التاريخ البشري كله إلى اليوم، وإلى ما شاء الله في ثلاث وعشرين سنة، فقد أقام ديناً جديداً (دين الإسلام)، وربى عليه جيلاً فريداً (جيل المؤمنين الأوائل)، وأنشأ أمة (الأمة العربية الإسلامية الأولى)، وأسس دولةً عالمية (الدولة العربية الإسلامية الأولى)، وأسس حضارةً عالمية إنسانيةً وسامية (الحضارة العربية الإسلامية) في هذا الزمن اليسير برغم كل الصعوبات والمعوقات التي اعترضت سبيله من أول يوم [1].

وتظل شخصية رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام على توالي الزمان زاداً لطالبي القيادة الرشيدة، ومدداً لمن أراد أن يبني دولة على الحق، والحق لا يزول، وسيظل صلى الله عليه وسلم نبراساً يهتدي به كل من رام الصلاح والفلاح، فإنه صلى الله عليه وسلم مدرسة في القيادة، والريادة، والتنظيم، والتخطيط ، والتفكير، والتدبير الذي يحمل عناصر النجاح، فإن عناية الله دائماً معه تسدد خطاه وتبارك مسعاه.

فحري بنا – نحن المسلمين- أن نأخذ العبرة، فقد أصبحنا في أمس الحاجة إلى الأخذ بتعاليمه في هذا الزمان.

وإذا كان عظمة الشخصية التاريخية في الحضارة الإنسانية تقاس بالتأثيرات التي تحدثها في مسار الحياة - حياة الناس وأفكارهم- وفي النتائج التي تتركها في تطور المجتمع البشري. إذا كانت عظمة الشخصية تقاس بهذه التأثيرات والنتائج، فشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم أعظم شخصية في تاريخ البشرية[2].

إن من يقرأ سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم منذ مولده إلى بعثته، وهجرته، وتأسيسه الدولة الإسلامية في المدينة، وغزواته، وجهاده في سبيل الله حتى وفاته، لا شك في أنه سينبهر بتلك الشخصية الفذة العظيمة التي غيرت وجه التاريخ

---

(1) القرضاوي، يوسف: الوقت في حياة المسلم، دار الصحوة، القاهرة، د.ت، ص ٥٩.

(2) العمران، عبد الرزاق علي: بدايات دراسة السيرة النبوية مصادر دراسة السيرة النبوية،مجلة الفيصل، الرياض، العدد (٢٦٥)، ص٣٠.

وزينته، وكان لها شأن عظيم في انتشال الإنسان من وهدة الحضيض والتسيب والامتهان إلى قمة الكرامة والعزة، وأنه لم يوحد شبه الجزيرة العربية فحسب، بل كوَّن من قبائلها - بفضل الله تعالى- أمة متماسكة حملت نور الإسلام إلى أمم المشرق والمغرب،و إلى العالم الوسيط برمته، فأعاد بذلك رسم خارطة العالم من جديد[٣].

إن دراسة شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هي دراسة للشخصية المختارة التي تكاملت فيها جوانب العظمة أمثل ما يكون الكمال والتكامل في الإنسان، واختارها الله لتكون منارة الهداية الهامة لجميع الأمم، الشاملة لكافة جوانب الإنسان والحضارة، والخالدة على مدى الأزمان[٤].

لا تقاس سير العظماء بالأحداث التي مرت بهم في حياتهم، أو بما كان منهم من تصرفات إزاء هذه الأحداث، وإنما تقدر سيرتهم بما تركوا من آثار في تاريخ الإنسانية، وبما يكون لمبادئهم وأعمالهم من توجيه وتطوير لحياة الأجيال التي تأتي بعدهم، من هنا يبرز الفرق الواسع بين عظماء الملك وعظماء الأفكار والمبادئ[٥].

وندرس سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن إهمال دراستها سبب من أسباب تخلف المسلمين؛ فهم لم يستوعبوا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاملوا مع سيرته تعاملاً جافاً دون فقه حقيقي بجوانب العظمة فيها[٦].

إن الهجرة النبوية الخالدة، هي على الحقيقة وثبة تاريخية إلى الأمام نتج عنها رسم ملامح حضارية جديدة للوجود الإسلامي الحق في دنيا الواقع المحسوس فضلاً عن أنها كانت أيضاً حركة انفتاحية، على المستوى الإيماني والحضاري الشامل، بكل ما تعني الكلمة من معنى[٧].

---

(٣) العمران: بدايات دراسة السيرة النبوية، ص٣٠.

(٤)عتر،نور الدين: صفحات من العظمة في شخصية الرسول (ﷺ)، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، العدد (٢٥٣)، محرم ١٤٠٦، ص٢٢.

(٥)شلبي، عبد الجليل عبده: دعوة الإسلام هي مرآة السير النبوية، المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية، السيرة النبوية، ١٨- ٢٤ صفر ١٤٠٦هـ /١- ٧ نوفمبر ١٩٨٥م، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، القاهرة، ص١٩٢.

(٦)الغزالي، محمد: فقه السيرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت،ص ص٤- ٧.

(٧) طه، مصطفى محمد : حول مظاهر الانفتاح الحضاري في الهجرة النبوية، مجلة منار الإسلام، وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف ، أبو ظبي، العدد (١) ، السنة (٢٨)، محرم ١٤٢٣هـ/ مارس - ابريل ٢٠٠٢م، ص٢٦.

ويستخلص المتتبع لأحداث الهجرة النبوية[٨] – على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم- بتأمل وتدبر الدروس تلو الدروس، والعِبَر بعد العِبَر، وذلك لِما امتاز به هذا الحدث العظيم من مزايا من حيث التخطيط والهدف والامتحان والكشف، والتضحية والفداء[٩].

إن الهجرة النبوية لها جوانب كثيرة ومتعددة تناولها كثير من الكتاب والباحثين والعلماء بالشرح والتحليل، وكل منهم أدلى بدلوه في إبراز هذا الحدث العظيم الذي كان له أعظم الأثر في تاريخ الأمة العربية والإسلامية، وسأهتم بإبراز بعض الجوانب والمضامين التربوية في الهجرة النبوية الإسلامية، لأن القيم التربوية الإسلامية عامل أساسي في تنشئة الإنسان المسلم تنشئة إيمانية، ونحن في حاجة ماسة إلى قراءة تربوية جديدة في الهجرة النبوية، تتناسب مع طبيعة العصر الذي نعيشه، وقد انعكست آثاره السلبية على الفرد والمجتمع معاً، وبهذا نستطيع من خلال هذه القراءة التربوية المتواضعة أن نستوعب العبر والعظات والدروس المستفادة التي نأمل أن يستفيد منها الآباء والمربون والأبناء [١٠].

لا نكون مبالغين إذا قلنا إن أظهر حدث في الإسلام منذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى هو حادث الهجرة. الذي غير مجرى التاريخ، فقد

---

(٨)للاستزادة عن الهجرة النبوية انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: محمد عويصة، الجزء الثاني، دار العنان، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ص ٨٤- ٩٩.خليل،عماد الدين: دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة، بيروت – دار النفائس ، بيروت، ط١١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ص١٢٧- ١٤٤.أبو خليل، شوقي: في التاريخ الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت – دار الفكر، دمشق، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ص٤٤- ٥٠.العمري، أكرم ضياء: السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، ،مكتبة العبيكان، الرياض ، ط٣، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م،ج١، ص ص ٢٠١- ٢٢٣. أمحزون، محمد : منهج النبي (ﷺ) في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة المعرفة – التربية – التخطيط- التنظيم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ص٥١- ٧٦.الشجاع، عبد الرحمن: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة(رؤية جديدة لتاريخ صدر الإسلام)، دار الفكر المعاصر، صنعاء، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ص١١١- ١١٨.المباركفوري، صفي الرحمن (إعداد وإشراف): نبأ عظيم إلى جميع البشر (إنك لعلى خلق عظيم)، الرسول محمد صلى الله وسلم، ج١، الرسالة النبوية والبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم، شركة كندة للإعلام والنشر، د.م، د.ت، ص ص ١٣٥- ١٥١.

(٩)الرحموني،عبد الرحيم:الهجرة النبوية إلى المدينة والنماذج الإنسانية التي قدمتها ،مجلة منار الإسلام ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، أبو ظبي، العدد (١)، السنة (١٤)، محرم ١٤٠٩هـ/ أغسطس ١٩٨٨م، ص٦.

(١٠) حسانين، أحمد جمعة: دروس من الهجرة النبوية، مجلة الفيصل ، دار الفيصل الثقافية، الرياض، العدد (١٩٩)، محرم ١٤١٤هـ / يوليو ١٩٩٣م، ص ٩.

كان مرحلة انتقال من أرض عبدت فيها الأصنام، وقتل فيها الأبرياء، وشربت فيها الخمور وهُيئ لأهلها أن هذا هو السؤدد بعينه، إلى أرض سطع فيها شمس الإسلام، وظهر فيها نوره الوضاء لقد فرق هذا الحادث العظيم بين الضعف والقوة والخير والشر، والأولياء والأعداء.

وبذلك بات واضحاً أن حادث الهجرة من نصيب كبير من الاهتمام قديماً وحاضراً وقبل أن نذكر أهم الدروس المستفادة من الهجرة يحسن أن نشير إلى أن الدعوة ظلت في بدايتها سرية ولمدة ثلاث سنوات، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ المدثر: ١ - ٢ ، وما أن صعد على جبل الصفا، ونادى قريشاً وأخبرهم بأمر دعوته قائلاً: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب ويذل لكم بها العجم، فإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة)[11]، حتى وجد كفار مكة يناصبونه العداء، ويستخدمون مختلف الأساليب في إيذائه – صلى الله عليه وسلم- .

وبدأت سلسلة طويلة من استخفافهم بشأنه وبشأن دعوته، فبعضهم يقول: إنه ساحر، وبعضهم يقول: إنه مجنون، وهناك من قال: إنه يأتي بأساطير الأولين!!

واشتد الأذى بعد وفاة عمه أبي طالب الذي كان يدافع عنه، وبعد وفاة زوجه التي كانت تخفف عنه همومه وأحزانه لما يلقاه من عداء قريش[12]، فما كان منه إلا أن توجه إلى الطائف علَّه يجد آذاناً صاغية لدعوته، غير أنهم أغروا به صبيانهم، فقذفوه بالحجارة حتى سال الدم من قدميه الطاهرتين، فلجأ إلى بستان بالطائف ودعا الله تعالى أن يخرجه من هذه القرية الظالم أهلها، فكانت الهجرة إلى المدينة، ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أُذن له في الهجرة إلى المدينة بقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ الإسراء: ٨٠ [13].

---

(11) ضيف، نشأة عبد الجواد: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، مجلة منار الإسلام، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، أبو ظبي، العدد (١)، السنة (١٧)، المحرم ١٤١٢هـ/يوليو ١٩٩١م، ص١٥.

(12) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص ص ١٥- ١٦.

(13) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٧، ص١٨٠، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص١٦.

إن حدثاً يؤرخ به لبداية أمة الإسلام ولقيام دولتها، لهو حدث عظيم في حياة العالم الإسلامي كله، وفي حياة المسلمين جميعاً، إنه نقطة التحول والخروج من الفتن والبلاء والمحن التي طال ليلها بمكة، حتى وصل إلى ثلاثة عشر عاماً، كلها شدائد وآلام، إن المسلمين جعلوا الهجرة بداية تأريخهم في هذه الحياة، وهذا الاختيار والتصرف منهم دليل على فقههم في دينهم ونظرهم النافذ لمعرفة حقيقته، فالهجرة من مكة إلى المدينة حدث عظيم جليل، لا يقدره إلا أصحاب الدعوات من الرجال الأبرار.

إن الهجرة أهم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية؛ إذ بالهجرة تأسس الكيان السياسي للأمة الإسلامية لنشر الإسلام، والدفاع عن حرماته، ولأهميتها كان التاريخ الهجري، ولم يكن بغيرها من الأحداث الهامة كالميلاد والبعثة، أو وقعة بدر أو ما شابهها، ولم يؤرخ المسلمون بتاريخ غيرهم حفاظاً على استقلالية الأمة وتميزها، وتعلمنا الهجرة كيف أن على الدعاة أن يبحثوا دائماً عن أماكن خصبة للدعوة تكون مركز انطلاق، ونواة تأسيس.

فروعة الهجرة أنها جهاد وعقيدة وفداء وكفاح، أنها إعلان على إصرار حملة الحق، المؤمنين على الوفاء لدينهم والتمسك برسالة الحق، فإما موت كريم، وإما نصر عظيم: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ التوبة: ٥٢ ويقول الحق سبحانه في الرجال الذين تخطوا المعوقات والعقبات ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة: ٢١٨ ، إن المهاجرين هم الرجال الذين صنعهم الإسلام، ورباهم على التحمل والصبر والثبات والتضحية بلا حدود[١٤].

إن استخراج الدروس والعبر والأحكام من حوادث السيرة النبوية من أهم أهداف الدراسة التاريخية لها وأعظم فوائدها؛ لكن هذا الأمر لا يستطيعه كل باحث أو قارئ للسيرة؛ لأنه يحتاج إلى مرجعية شرعية، وإلى ضوابط تضبط طريقة الاستنتاج،

---

(١٤) الخطيب، محمد عبد الله: الهجرة النبوية .. مواقف ودروس لرجال الدعوات، مجلة الدعوة، القاهرة،العدد(١٢١)، المحرم،١٤٢٣هـ/مارس- أبريل٢٠٠٢م، ص٦.

وبالنظر إلى مناهج الاستدلال والاستنباط عند علماء المسلمين؛ فإنه يمكن معرفة بعض ضوابط استخراج الدروس والفوائد التربوية من خلال طريقهم في البحث والاستدلال ووفقاً للخطوات الآتية[١٥]:-

١) التأكد من صحة الحدث أو الواقعة التاريخية حتى يصح الاستدلال بها.
٢) بذل الجهد في جمع الأخبار الواردة في الموضوع الواحد.
٣) معرفة حدود العقل في نقد الأخبار.
٤) أحكام الدعوة خاضعة للنصوص الشرعية في الكتاب والسنة وليست خاضعة للتجارب.
٥) ملاحظة المراحل التي مرت بها السيرة النبوية ونزول التشريع.
٦) ملاحظة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اتخذ بعض المواقف وعقد بعض المعاهدات ما أوحى الله إليه.
٧) هناك أمور في السيرة النبوية وقع تحديدها قدراً واتفاقاً فلا يقاس عليها.

إن الهجرة النبوية في مفهومها الثقافي درس قبل أن تكون تاريخاً.. ففيها من العِبر والوقفات ما يسهم في تنمية الروح والعقل، وبناء اليقين الإيماني والإلهام الفكري. وفي حادثة الهجرة الكثير من الفوائد التي تعود على المسلمين ديناً ودنيا، قولاً وعملاً، نفعاً وسعادة[١٦].

وأهم الدروس التي يمكننا الانتفاع بها من أحداث الهجرة ،وهي التي غيرت مجرى التاريخ كله لأهميتها ومكانتها في تاريخ الدعوة تتمثل في الآتي:-

(١٥) السلمي، محمد بن صامل: ضوابط استخراج الدروس والفوائد التربوية من السيرة، مجلة البيان، العدد (١٥٩)، ص ص ٨٧- ٩٠.

(١٦)القراوي، مطلق راشد: دروس من الهجرة النبوية، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، العدد (٤٩٧)، السنة (٤٤)، محرم١٤٢٨هـ/ يناير٢٠٠٧م، ص ٩٨.

الدرس الأول: التخطيط والتنفيذ والأخذ بالأسباب وحسن التوكل على الله :-

التوكل على الله ضرورة وشرط.. ضرورة لاكتمال الإيمان، وشرط لحفظ الله ونصره .. قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال: ٢ . وقال تعالى:﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ الطلاق: ٣[١٧].

من المعلوم أن نجاح كل عمل يتوقف على حسن تخطيطه وتنفيذه وخاصة إذا كان هذا التخطيط من قائد عظيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم توجهه العناية الإلهية ويرعاه العلم الرباني.

إن التخطيط الدقيق والأهداف الواضحة في سير حركة الرسول صلى الله عليه وسلم يُعد في استنفاد كل جوانب التخطيط، ثم يأتي التسديد الرباني عند الحاجة، بما يوحي بمشروعية ووجوب التخطيط عند كل مسلم، بل هو سمة من سمات المنهج الرباني، وليس من نافلة الأمور[١٨].

لم تخل حياة النبي صلى الله عليه وسلم من الأخذ بالأسباب قط، ولم تعدم في الوقت نفسه التوكل فهو القائل (أعقلها وتوكل)، ومن هذا المنطلق نجده يعد الجيوش ويأمر المسلمين بالتدرب. وحادث الهجرة مليء بالمواقف التي تشهد بأنه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الحيطة والحذر[١٩]، ويخطط تخطيطاً جيداً محكماً لكل أمر صغر أو كبر، ومن بين الأسباب والاحتياطات التي فعلها في الهجرة ليستطيع التكتم على الهجرة ما يأتي:-

(١٧) القراوي: دروس من الهجرة النبوية، ص ٩٨.

(١٨)الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، رؤية جديدة لتاريخ صدر الإسلام، دار الفكر المعاصر، صنعاء، ط٥، ٢٠٠٥/٢٠٠٦م، ص١١٨.

(١٩)أحمد، إبراهيم علي محمد: في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الدوحة ، العدد(٥٤)، السنة (١٦)، رجب ١٤١٧هـ /تشرين الثاني (نوفمبر) . كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٦م.

أ- تكليف النبي صلى الله عليه وسلم علياً – رضي الله عنه- بالنوم مكانه تمويهاً على كفار قريش وليقوم بأداء الأمانات ورد الودائع التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم لأهل مكة الذين كانوا يأتمنونه على أماناتهم وودائعهم ولا يأتمنونه على عقيدتهم[٢٠].

ب- ذهابه صلى إلى أبي بكر في حر الظهيرة- وقت القيلولة حالة كونه مقنعاً حرصاً على التكتم والسرية وحين دخل على أبي بكر قال له أخرِجْ من عندك، فقال له إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله[٢١].

ج- خروجه ليلاً من بيت أبي بكر ومن باب خلفي.

د- اختياره صلى الله عليه وسلم غار ثور لتضليل كفار قريش، وبقاؤه فيه لمدة ثلاثة أيام.

هـ- تأمين معرفة ما يدبره الكفرة ليتسنى للنبي صلى الله عليه وسلم وصحبه تلافي ما قد يستجد في الموقف. وهذا الدور قام به عبد الله بن أبي بكر الصديق. رضي الله عنهما فكان ينقل إليهما أخبار القوم ويعود إلى مكة قبل الفجر ليشعر الكفرة من قريش أنه يبيت معهم في مكة[٢٢].

و- إخفاء أثر – عبد الله- بغنم عامر بن فهيرة وإراحة الأغنام حول الغار ليطعما من لبنها.

ز- قيام أسماء بنت أبي بكر الصديق- رضي الله عنها- بمهمة توصيل الطعام وقد سميت بذات النطاقين.

ح- اتجاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة من طريق خفي يختلف عن الطريق المعتاد مستعيناً بابن أريقط للتمويه على القوم. بعد أن واعداه على الإتيان بالراحلتين عند الغار إلى غير ذلك من المواقف التي تجعلنا نقول: إن ديننا الحنيف يدعونا إلى الأخذ بالأسباب وعدم التواكل، ومن يتهم المسلمين

---

(٢٠)ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص١٧.

(٢١) الغزالي: فقه السيرة، ص١٧٢، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص١٧.

(٢٢)الغزالي: فقه السيرة، البوطي: فقه السيرة، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص ص ١٧- ١٨.

لتعطيلهم العقل فعليه أن يعيد النظر في اتهامه، وليعلم أن ديننا دين سعي وعمل وتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب[٢٣].

أما حسن التوكل على الله، فقد صاحبه صلى الله عليه وسلم وهو يخرج من بين صفوف من يتربصونه ليقتلوه، ولا يفعل من الأسباب إلا أن يقرأ سورة يس إلى قوله تعالى :﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ يس،من الآية: ٩ . ثم يحثوا فوق رؤوسهم التراب.

وكذلك من حسن توكله صلى الله عليه وسلم على الله تعالى ما ورد في قوله تعالى﴿ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبة، من الآية: ٤٠ . وقد علم أن ربه لن يتخلى عنه ولن يضيعه.

إن الجهد البشري الذي يُبذل ويُبْتَغَى به وجه الله تعالى يحالفه دائماً التوفيق الرباني، فكلاهما يسيران معاً ليحققا الهدف المرسوم من عند الله تعالى، فمحمد صلى الله عليه وسلم رغم يقينه بأنه يسير وفق رعاية الله تعالى وكنفه، فقد جاهد في الله حق جهاده في سبيل إيجاد أرض ودار للإسلام، وأنه صلى الله عليه وسلم ما كان يركن، أو يساوره الشك في طريقه، وكلما مضى في طريق واعترضته الصعوبات سلك طريقاً آخر، وهكذا حتى كتب له النجاح صلى الله عليه وسلم[٢٤].

الدرس الثاني: وضع الرجل المناسب في المكان المناسب:-

لو نظرنا في المهام التي قام بها كل واحد من الذين شاركوا في الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم لوجدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حدد المهام التي تتفق وقدرات كل إنسان وإمكاناته ومن هنا نتعلم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فكل إنسان ميسر لما خلق له وبالتالي فعلى كل مسئول أن يُحسن اختيار من يُسند إليهم الوظائف المهمة ، فيختار الأكفاء ويستبعد الضعفاء، ويلغي من قاموس تعامله ما يسمى بالمجاملات والهدايا والرشاوى وما يشبهها. نتعلم كل هذه من أدوار المشاركين في حدث الهجرة من المسلمين أو غيرهم [٢٥].

---

(٢٣) الغزالي: فقه السيرة، البوطي: فقه السيرة، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص١٨.

(٢٤)الشجاع: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص١١٨.

(٢٥)ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص ١٨.

الدرس الثالث: درس في سياسة الأمور:-

يلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم أسرار مسيره، فلم يطلع عليها إلا من لهم صلة ماسة، ولم يتوسع في إطلاعهم إلا بقدر العمل المنوط بهم.

واستأجر الرسول صلى الله عليه وسلم دليلاً خبيراً بطريق الصحراء ليستعين بخبرته على مغالبة المطاردين ونظر في هذا الاختيار إلى الكفاية وحدها، فإذا اكتملت في أحد، ولو مشركاً، استخدمه وانتفع بموهبته.

ومع هذه المرونة في وضع الخطة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أصر أن يدفع ثمن راحلته. وأبى أن يتطوع أبو بكر الصديق به، لأن البذل في هذه الهجرة ضرب من العبادة ينبغي الحرص عليه وتستبعد النيابة فيه.

واتفق الرسول صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر على تفاصيل الخروج، وتخيروا الغار الذي يأوون إليه، وتخيروه جنوباً في اتجاه اليمن لتضليل المطاردين، وحددوا الأشخاص الذين يتصلون بهم في أثناء اللجوء إليه، ومهمة كل شخص. ثم عاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيته، فوجد قريشاً بدأت تضرب الحصار حوله، وبعثت بالفتيان الذين وكل إليهم اغتيال محمد صلى الله عليه وسلم وتفريق دمه بين القبائل.

وأوعز الرسول صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب في هذه الليلة الرهيبة أن يرتدي برده الذي ينام فيه، وأن يتسجى به على سريره، وفي هجعة من الليل وغفلة من الحرس انسل الرسول صلى الله عليه وسلم من بيته إلى دار أبي بكر الصديق، ثم خرج الرجلان من خوخة في ظهرها إلى غار ثور. إلى الغار الذي استودعته العناية مصير الرسالة الخاتمة، ومستقبل حضارة كاملة، وتركته في حراسة الصمت والوحشة والانقطاع[٢٦].

(٢٦) الغزالي، :فقه السيرة، ص ص١٧١- ١٧٢.

الدرس الرابع: في معرفة الرجال (الأشخاص):-

المتأمل للتحركات التي قام بها الأشخاص (النماذج الإنسانية) للذين شاركوا في صنع حدث الهجرة إيجاباً أو سلباً، يدرك الفارق الكبير بين النفس الإنسانية المسلمة المجاهدة، والنفس الإنسانية الكافرة التي يمكن أن تكون خيرة، كما يمكن أن تكون ماكرة شريرة، مما يقدم نماذج متباينة يمكن أن يوجد ما يماثلها أو يقاربها على مدار التاريخ الإنساني.

وحينما نقول "الأشخاص" فإننا لا نقصد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو عليه الصلاة والسلام القدوة والأسوة في كل شيء، لأنه مصطفى مختار، فلقد أحكم خطة الهجرة ودَبّرها أحسن تدبير، حتى أنه كان من روعتها ودقتها أنه لم يعلم: (بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر[٢٧])، وإنما نقصد شخصيات أخرى ساهمت في تطبيق الخطة، فضربت بذلك أروع الصور في التضحية والفداء، ومن هذه الشخصيات تلك التي علمت بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

١) <u>شخصية علي بن أبي طالب:</u> إنه نموذج الشاب[٢٨] المضحي بنفسه في سبيل مساعدة الرسول صلى الله عليه وسلم على الخروج من مكة، فلقد قال له الرسول الكريم : (نَمْ على فراشي وتسجَّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم.) [٢٩] فنام رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم آمناً مطمئناً واثقاً من قوله: (إنه لن يخلص إليك شيء تكرهه)، فلم يخف وقع السيوف، ولا طَعْن الرماح، ولا رضخ الحجارة، ولم يُحَدّث نفسه بأن يُترك فوق الفراش ودون البرد شيئاً ذا حجم يشبه حجم الإنسان، بل نام فيه كما كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان نومه هناك إيهاما للمشركين الذين كانوا يتطلعون، فيرونه على الفراش متسجياً ببرد الرسول صلى الله عليه وسلم،

---

(٢٧)ابن هشام:السيرة النبوية، دار الجيل بيروت ،ج٢،ص٩٣، الرحموني:الهجرة النبوية،ص ص٦- ٧.

(٢٨) أسلم علي بن أبي طالب – كرم الله وجه – وهو ابن عشر سنين ، كما يذكر ابن إسحاق ، وتذكر روايات أخرى أنه أسلم وهو ابن تسع ، وقيل ابن سبع ، وبما أن الهجرة وقعت في السنة الثالثة عشرة من البعثة فمعنى ذلك أن عمر علي حينذاك كان عشرين سنه أو يزيد عليها بقليل .(الرحموني:الهجرة النبوية،ص٧).

(٢٩) ابن هشام: السيرة النبوية،ج٢، ص٩١، الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٧.

فلا يشكون أنه رسول الله، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي رضي الله عنه عن الفراش[٣٠].

ولم يقتصر دور علي رضي الله عنه على النوم على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب، بل إن الرسول الكريم :(أمره أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم)[٣١]. وفي هذا التكليف ثلاثة أمور :-

أ- أمانة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل الظروف والأحوال مهما كانت حرجة " فَرُبَّ قائل يقول : إن وراء الهجرة هدفاً أكبر بكثير من التمسك بجزيئات أخلاقية قد يسمح الظرف الخطير بتجاوزها، لكن منطق رسول الإسلام شيء آخر، ما الفرق بين الإسلام وبين المبادئ الأخرى إذا كان هو متأسياً بها في تخليه عن أخلاقياته في ساعات المحنة والخطر؟ وماذا سيقول المشركون لو غادر (الأمين) مكة دون أن يرد إليهم أماناتهم؟ ما أسرع ما يمكن أن يتهمُوهُ، حيث يأكلهم الغيظ: (الأمين تحول إلى سارق، وضاعت الأمانة.. وحاشاه)[٣٢].

ب- أمانة علي بن أبي طالب رضي الله عنه– حيث أن (الأمين) صلى الله عليه وسلم لن يكّلِف بردِّ الأمانات إلى أهلها إلا أميناً.

ج- أن عملية رد الودائع إلى أصحابها في حد ذاتها تضحية وجهاد، فمن يدري فلعل قريشاً تأخذ علياً رضي الله عنه وتنتقم لَمَّا فاتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم لا تفعل ذلك وهي التي عرضت عمارة بن الوليد على أبي طالب حتى يدفع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه.

(٣٠)ابن هشام: السيرة النبوية،ج٢، ص٩٢، الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٧.

(٣١) ابن هشام: السيرة النبوية،ج٢، ص٩٣، الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٧.

(٣٢) خليل: دراسة في السيرة، ص ١٣٥ الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٧.

٢) شخصية أبي بكر الصديق – رضي الله عنه : إنه أنموذج المؤمن الصادق الصّديق، أول الرجال إيماناً والمصدق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في أحلك الظروف وأحرجها[٣٣]، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فقال له لا تَعْجل لعل الله يجد لك صاحباً، فطمع أن يصطحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشرع في الإعداد لها، فكان أن ضحى بماله وبنفسه وبأهله في سبيل ذلك:-

- تضحيته بالمال : كان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال، فلما طمع في الصحبة ابتاع راحلتين واحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك، بل إن أبا بكر لم يكتف بذلك، فلقد أخذ معه ماله كله بعد خروجه مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أن أباه أبا قحافه – وكان لا يزال مشركاً، وكان قد ذهب بصره – دخل على آل أبي بكر بعد خروج أبي بكر، فقال : (والله إنني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه)، فقالت أسماء: (كلا يا أبت! إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً)، قالت: (فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: (يا أبت، ضع يدك على هذا المال)، قالت: (فوضع يده عليه)، قال: (لا بأس، إذا كان ترك لكم بهذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكنني أردت أن أسكن الشيخ بذلك)[٣٤] .
- تضحيته بنفسه : جنَّد أبو بكر رضي الله عنه نفسه فداءً للرسول الكريم، (فلقد انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه)[٣٥]، ولقد رأى فيه جُحْراً فألقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣٦]، بل إنه رضي الله عنه

---

(٣٣) نقصد بذلك ما حدث بعد الإسراء حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم حدث قريشاً بحادثة الإسراء، فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر وخبروه بالخبر، فقال لهم: (والله لئن كان قاله لقد صدق). (الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٨).

(٣٤) ابن هشام: السيرة النبوية،ج٢، ص٩٦، الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٨.

(٣٥) ابن هشام: السيرة النبوية،ج٢، ص٩٤، الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٨.

(٣٦) السهيلي: الروض الأنف ، المطبعة الجمالية بمصر، ج ٢، ص٤،(الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٨).

نتيجة تضحيته بنفسه " اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: (إن قتلت فإنما أنا رجل واحد، وإن قُتلت هلكت الأمة)، فعندما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تحزن إن الله معنا، ألا ترى كيف قال: لا تحزن ولم يقل لا تخفْ؛ لأن حزَنهُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم شغله عن خوفه على نفسه؛ ولأنه أيضاً رأى ما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم من النصب وكونه في ضيقة الغار مع فرقة الأهل ووحشة الغربة)[٣٧].

- أما تضحيته بأهله، فتبدو في أنه لما هاجر ترك بناته وزوجته بمكة[٣٨].

٣) شخصية عبد الله بن أبي بكر: إنها شخصية أمينة على السر، كتومة للخبر، مبلغة له بكل أمانة، فلقد أمره والده أبو بكر أن يتسمع لهما ما يقوله الناس فيهما، فكان يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى، فيخبرهما بما يكون في ذلك اليوم من الخبر[٣٩]، فكان بذلك مثالاً للرجل الأمين للسر الكتوم للخبر الذي لا يستفز بالحديث ولا بالحدث.

٤) شخصية عامر بن فهيرة: كان عامر مولَّداً من مولَّدي الأزد، وكان أخا عائشة بنت أبي بكر وعبد الرحمن بن أبي بكر لأمهما، فأسلم عامر وهو مملوك لهم فاشتراه أبو بكر فاعتقه، وكان حسن الإسلام[٤٠]، ونتيجة لحسن إسلامه أمره أبو بكر أن يرعى غنمه نهاراً في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما، فاحتلبا، فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة، أتبع عامر أثره بالغنم حتى يعفي أثره، فيصبح في رعيان الناس ولا يفطن له[٤١]، فكان بذلك نموذج الخادم الصالح الأمين.

---

(٣٧) السهيلي: الروض الأنف، ج٢، ص٤، الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٨.

(٣٨) يستفاد من خبر رواه ابن إسحاق ونقله السهيلي في كتابه، أن زوجة أبي بكر أم رومان بنت عامر كانت مسلمة وهاجرت مع ابنتها عائشة رضي الله عنهما بعد هجرة أبي بكر الصديق. (الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٩).

(٣٩) ابن هشام: السيرة النبوية،ج٢، ص ص ٩٤- ٩٥، والطبري:تاريخ الطبري،ج٢،ص٢٤٦. الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٩.

(٤٠) الطبري:تاريخ الطبري،ج ٢،ص ص ٢٤٥- ٢٤٦. الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٩.

(٤١) ابن هشام: السيرة النبوية،ج٢، ص٩٤، وتاريخ الطبري،ج٢،ص٢٤٦. الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٩.

٥) شخصية أسماء بنت أبي بكر الصديق: إنها نموذج المرأة الصالحة الصابرة المجاهدة المحتسبة، لم يهلها مغادرة أبيها، ولم تجزع على فراقه بل قامت بدور الأبطال، فلقد كانت إذا أمست تأتي الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا بكر بما يصلحهما من الطعام، ولما سكن الناس عن الطلب، وخرجا من الغار أتتهما أسماء بسفرتها ونسيت أن تجعل لها عصاماً، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة، فإذا ليس لها عصام، فحلت نطاقها وشقته باثنين، فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر فسميت بذات النطاقين[٤٢]، كما كان من صبرها وذكائها وقدرتها على مواجهة الطوارئ موقفها من جدها أبي قحافة الذي أشرنا إليه سابقاً، وموقفها من أبي جهل حينما سألها عن أبيها، فقالت: لا أدري، فلطم خدها لطمة طرح منها قرطها[٤٣].

تلك كانت مواقف آل أبي بكر رضي الله عنهم، وهي مواقف تقدم نموذجاً مثالياً لأفراد الأسرة المسلمة الثابتة أيام المحن والصابرة أيام الشدائد، كما تقدم النموذج الأمثل لتربية الأبناء ذكوراً وإناثاً تربية تعودهم مجاهدة النفس ومجابهة المصاعب.

وفي مقابل هذه الشخصيات المسلمة المجاهدة تقف شخصيتان أخريان كافِرتان، إحداهما تناقض الأخرى في السلوك والتفكير وإن اشتركت معها في المعْتَقَدِ، إنهما شخصية عبد الله بن أريقط، وشخصية سراقة بن مالك.

أما عبدالله بن أريقط، فرغم أنه كان على دين الشرك، فإنه كان متصفاً بصفات حميدة، فقد أستأجر الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر عبد الله ليدلهما على الطريق، ودفعا إليه راحلتيهما قبل الخروج إلى الغار وبعير له وخرج معهما. ورغم شركه فإنه لم يكشف أمرهما إطلاقاً رغم أن قريشاً قد جعلت مائة ناقة لمن يرده عليهم حياً أو ميتاً. فكان عبد الله بذلك الرجل الخيِّر الذي لا يبيع كرامته بالمال مهما غلا الثمن. ولو أسلم فلن يزيده الإسلام إلا خيرا طبقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: (خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا)، ويبدو أن أبا بكر رضي الله عنه تبين أثناء الطريق إلى المدينة صفاء سريرة عبد

(٤٢) ابن هشام: السيرة النبوية،ج٢، ص ص٩٤، الرحموني:الهجرة النبوية،ص٩.

(٤٣) ابن هشام: السيرة النبوية،ج٢،ص٩٥. الرحموني:الهجرة النبوية ،ص٩.

الله بن أريقط، فكلفه ثانية مع نفر آخرين باستقدام أهله وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة[٤٤].

وأما سراقة بن مالك فإنه يمثل أنموذج الرجل الماكر[٤٥] الذي يضرب بكل القيم عرض الحائط في سبيل الحصول على المال والاستئثار به دون الآخرين، فلقد كان جالساً في نادي قومه حتى وقف عليهم رجل منهم فقال: (والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مرَّوا عليَّ آنفا، إني لأراهم محمداً وأصحابه)، قال سراقة: (فأومأت إليه بعيني أن اسكت)، ثم قلت: (إنما هم بنو فلان يبتغون ضالة) ومكثت قليلاً لهم، قال: لعله ثم سكت. قال سراقة: ثم قمت فدخلت بيتي ثم أمرت بفرسي، فقيد لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي، فأخرج لي من دبر حجرتي ثم انطلقت، وكنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ المائة الناقة..)[٤٦].

وبذلك يكون سراقة قبل أن يهذبه الإسلام ويجلو معدنه (كألوف من الأعراب، بل كألوف من الناس نلتقي بهم في كل مكان وزمان، أولئك الذين ما أن تبرق أمام أعينهم قطع النقود وتطرق أسماعهم أصوات الذهب والفضة وهي ترن، حتى يصبحوا على استعداد لأن يبيعوا مبادئهم وضمائرهم وعرضهم، من أجل أن يصلوا إلى قطع النقود، ويضعوا أيديهم على أكوام الذهب والفضة .. إنهم موجودون في كل مكان وزمان)[٤٧].

وفي تخلف علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في أداء الودائع التي كانت عنده إلى أصحابها دلالة باهرة على التناقض العجيب الذي كان المشركون واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه ويرونه ساحراً أو مخادعاً لم يكونوا يجدون من حولهم من هو خير منه أمانة وصدقاً، فكانوا لا يضعون حوائجهم وأموالهم التي يخافون عليها إلا عنده ا، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب شك لديهم

---

(٤٤) السهيلي: الروض الأنف، ج٢، ص ٢، الرحموني:الهجرة النبوية،ص١٠.

(٤٥) لقد أسلم سراقة يوم فتح مكة، ويبدو أن إسلامه كان نتيجة لما رأى من المعجزات وهو يقتفي أثر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق أثناء المعجزة ويبدو من خلال الخبر الذي رواه ابن إسحاق أن الإسلام طهر كبد سراقة ومكره الذي كان نتيجة أدران الجاهلية، ابن هشام: السيرة النبوية،ج ٢،ص ص٩٦- ٩٧ وانظر الشعر الذي قاله بعد أن لامه أبو جهل حين رجع بلا شيء في (السهيلي:الروض الأنف،ج٢،ص٦. الرحموني:الهجرة النبوية ،ص١٠).

(٤٦) ابن هشام:السيرة النبوية،ج٢،ص٩٦. الرحموني:الهجرة النبوية ،ص ص١٠- ١١..

(٤٧) خليل: دراسة في السيرة ، ص ١٣٨، الرحموني:الهجرة النبوية ،ص١١.

في صدقه، وإنما هو بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق الذي جاء به، وخوفاً على زعامتهم وطغيانهم[٤٨].

من أبرز ما يظهر من قصة هجرته صلى الله عليه وسلم، استبقاؤه لأبي بكر رضي الله عنه دون غيره من الصحابة كي يكون رفيقه في هذه الرحلة.

وقد استنبط العلماء من ذلك مدى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وأنه أقرب أصحابه إليه وأولاهم بالخلافة من بعده، ولقد عززت هذه الأدلة أموراً كثيرة أخرى مثل استخلافه صلى الله عليه وسلم له في الصلاة بالناس عند مرضه وإصراره على أن لا يصلي عنه غيره، ومثل قوله في الحديث الصحيح: (لو كنت متخذا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً)[٤٩] .

ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه – كما رأيناه – على مستوى هذه المزيه التي أكرمه الله بها، فقد كان مثال الصاحب الصادق بل والمضحي بروحه وكل ما يملك من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد رأينا كيف أبى إلا أن يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم في دخول الغار كي يجعل نفسه فداء له صلى الله عليه وسلم فيما إذا كان فيه سبع أو حية أو أي مكروه ينال الإنسان منه الأذى، ورأينا كيف جنّد أمواله وابنه وبنته ومولاه وراعي أغنامه في سبيل خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة الشاقة الطويلة.

هذا هو الذي يجب أن يكون عليه حال كل مسلم آمن بالله ورسوله، ولذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[٥٠].

ثم إننا نلمح في النشاط الذي كان يبذله عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه، ذاهباً آيباً بين الغار ومكة، يتحسس الأخبار وينقلها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيه. وفيما بدا على أخته أسماء رضي الله عنها من مظاهر الاهتمام والجد في تهيئ الزاد والراحلة واشتراكها في إعداد العدة لتلك الرحلة، نلمح في ذلك صورة مما يجب أن

(٤٨) البوطي، محمد سعيد رمضان:فقه السيرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط٨، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ١٨٦.

(٤٩) مسلم:صحيح الجامع،ج٧،ص١٠٥.

(٥٠) متفق عليه، البوطي:فقه السيرة، ص ص١٨٤- ١٨٥.

يكون عليه الشباب المسلم ذكوراً ونساء في سبيل الله عز وجل ومن أجل تحقيق مبادئ الإسلام وإقامة المجتمع الإسلامي، فلا يكفي أن يكون الإنسان منطوياً على نفسه مقتصراً على عباداته، بل عليه أن يستنفد طاقاته وأوجه نشاطه كلها سعياً في سبيل الإسلام، وتلك هي مزية الشباب في حياة الإسلام والمسلمين في كل زمن وعصر.

وإذا تأملت فيمن كان حول النبي صلى الله عليه وسلم إبان دعوته وجهاده، وجدت أن أغلبيتهم العظمى كانوا شباناً لم يتجاوزوا المرحلة الأولى في عمر شبابهم، ولم يألوا جهداً في تجنيد طاقاتهم وقوتهم من أجل نصرة الإسلام وإقامة مجتمعه[٥١].

الدرس الخامس: التضحية:-

من المعلوم أن التضحية تعتمد على دعامتين رئيستين هما: التضحية بالنفس، والتضحية بالمال. ولقد أظهرت الهجرة النبوية العديد من أمثلة التضحية بالنفس والمال لنصرة دين الله تعالى، فالتضحية بالنفس ليست مقصورة على تحمل الأذى، فإن الذي يتعرض لمواطن الأذى – وهو يعلم مخاطرها، ويترقب الأذى في أية لحظة من اللحظات، ويوطّن نفسه عليه – إنما يمثّل روح التضحية والفداء. فأولئك الصحابة الذين كانوا عوناً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الهجرة عرَّضوا أنفسهم للهلاك، فإن قريشاً لو كشفت أمرهم لآذتهم إيذاء بليغاً، ومن أمثلة هؤلاء عبد الله بن أبي بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وعبدالله ابن أريقط، وغيرهم كثيرون.

ونعرض بعض الأمثلة للتضحية والفداء لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة النبوية لتكون المثل والقدوة لهذا الجيل الذي ضعفت فيه جوانب التضحية وافتقدت فيه روح الفداء كقيمة، وانتهج في حياته – للأسف – سلوك الأثرة، ومن هذه الأمثلة :

١) حينما يتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه أبو بكر – رضي الله عنه – من فتحة الغار، هنا يسبق الصدّيق صديقه في دخول الغار مفتشاً ومنقباً جوانبه، خشية أن يكون في داخله ما يُؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندما يجد أبو بكر جحوراً وشقوقاً بالغار يخلع جلبابه ويقطعه قطعاً قطعاً، يسد بها جحور

(٥١) البوطي:فقه السيرة، ص ص١٨٦- ١٨٧.

الغار خوفًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى أبي بكر، فلم يجد عليه جلباباً، فقال له: (أين جلبابك يا أبا بكر)، قال: (قطعتها لأستر بها جحور الغار، مخافة عليك من حية أو عقرب تؤذيك)، فرفع الرسول صلى الله عليه وسلم يده إلى السماء ودعا ربه فقال: (اللهم اجعل أبا بكر في درجتي في الجنة)، فنزل جبريل في التو والحال وقال :(لقد استجيب لك).

٢) وتظهر التضحية بالنفس – أيضاً – حينما يسمع أبو بكر – رضي الله عنه وقع أقدام المشركين عند الغار، فيضطرب قلبه ويهمس في أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: (إن قتلتُ أنا فإنما أنا رجل واحد، وإن قُتلتَ أنت هلكت الأمة)، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبقى ثابت الجنان واثقاً بنصر الله تعالى، فيقول لصاحبه: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا) وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ التوبة: ٤٠

٣) وهنا يقول الشاعر:

يا ثاني اثنين في غارٍ يضمكما هل أشرقت قبلُ شمس الله في غار

٤) وموقف ثالث للتضحية بالنفس من أبي بكر- رضي الله عنه – يدل على حبه وتضحيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، فبعد خروجهما من الغار وقد اتجها إلى المدينة كان أبو بكر يتقدم الرسول صلى الله عليه وسلم مرة ويتأخر عنه أخرى، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (لم تفعل ذلك يا أبا بكر) فقال له: (أتأخر عنك مخافة أن يطلبك عدو من خلفك، فأتصدى له فداءً لك يا رسول الله، وأسير أمامك مخافة أن يترصدك عدو، فأدفعه عنك)، فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالخير.

لذلك يجب أن نذكّر أبناءنا بقيمة الصداقة المخلصة الوفية التي تجلت في أحسن صورها مع الصاحب والصديق أبي بكر – رضي الله عنه – الذي ضحى بنفسه وماله من

أجل الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم، فلتكن هذه الأمثلة من أبي بكر رضي الله عنه القدوة الحسنة والنموذج المقتدى به للصداقة المخلصة الوفية.

٥) ومثال آخر للتضحية بالنفس حين كلف الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب – وكان لا يتجاوز العشرين من عمره – بأن يتسجى ببردته للتمويه على الأعداء، وينام مكانه. حتى يظن المشركون أن الرسول لا يزال نائماً، ولقد نفّذ عليٌ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ونام مكانه مضحياً بنفسه، فداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو أحب إليه من نفسه وماله والناس أجمعين، ولم يبال أن يدخل عليه المشركون ويقتلوه؛ فداء وتضحية بالنفس من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بين حصار فتيان مكة الأقوياء الأشداء سالماً بعد أن رماهم بالتراب وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ يس: ٩.

وبعد أن أتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه مهمته ولم يصل إليه الأعداء بسوء قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بخ بخ وربك يباهي بك الملائكة في السماء).

هذه بعض النماذج والأمثلة للتضحية والفداء بالنفس في أسمى معانيها، والتي تعد القدوة والمثل للشباب ليضحوا بأنفسهم في سبيل دينهم ووطنهم.

أما التضحية بالمال في الهجرة النبوية، فهي عديدة ومتنوعة، فإذا كان المهاجرون قد ضحوا بأغلى ما يملكون وهي التضحية بالنفس، فأهون عليهم التضحية بالمال، فلقد تركوا خلفهم تجارتهم وأموالهم فداء للدعوة، واستجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد أظهرت الهجرة أمثلة عديدة لتضحية المهاجرين بأموالهم، فلئن كانت الهجرة قد أدت إلى أن يدع المهاجرين ما لا يخف حمله من أموالهم في مكة، فإن أفراداً منهم قد أُكرهوا على أن يتخلوا عن كل ما يملكون، ومن أمثلة هؤلاء:-

صهيب الرومي – رضي الله عنه – كان على رأس من ضحوا بأموالهم، فحين أراد صهيب الهجرة قال له كفار قريش: (أتيتنا صعلوكاً فقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لن يكون ذلك)، فقال لهم

صهيب: (أرأيتم إن جعلتُ لكم مالي أتخلون سبيلي ؟) قالوا: (نعم)، قال: (فإني جعلت لكم مالي)، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (ربح صهيب ربح صهيب)، لذلك أثنى القرآن الكريم على الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم أطيب الثناء، يقول تعالى :﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ الحشر: ٨.

وتتضح صورة أخرى للتضحية بالمال من الأنصار للمهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم ابتغاء فضل الله ورضوانه، فكانوا خير عون لهم، لذلك زكّاهم الله بقوله :﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الحشر: ٩.

ولعنا الآن في حاجة إلى التضحية بالمال لما يعاني منه المجتمع العربي والإسلامي من خلل في وضعه الاقتصادي، فلعل في إحيائنا ذكرى الهجرة النبوية منطلقاً للتضحية بالمال لدول عربية وإسلامية في أمس الحاجة لمساعدتها، حيث الجوع يقتلهم، والمرض يفترسهم، وأعداء الإسلام يبيدونهم، لذلك يجب علينا أن نهاجر في سبيل الله بأموالنا، ونسارع فيه بإخراج الزكاة، وأن نكثر من الصدقات للمسلمين في الداخل والخارج، وبهذا نكون قد استوعبنا دروس الهجرة النبوية من التضحية بالنفس والمال[٥٢].

(٥٢) حسانين: دروس من الهجرة النبوية، ص ص ١١- ١٢.

الدرس السادس: التصرف في حدود القدرة:-

من البديهي أن الواجبات الكفائية تختلف من إنسان لآخر ذلك لأن عطاءات الله للناس مختلفة. ومن ثمة، فالمسئولية ليست واحدة بل هي الأخرى مختلفة.

فإذا كان عمر بن الخطاب قد هاجر علانية وتحدى كفار مكة دون خوف أو وجل فإنّ هذا لا يعني أنه أشد شجاعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هاجر مستخفياً بالحال الذي وصفناه سابقاً من نحو الاحتياط والحذر. ذلك لأن تصرف عمر رضي الله عنه يعد تصرفاً شخصياً فليس فيه حجة تشريعية فله أن يتخير من الطرق والأساليب ما يتفق مع رغبته بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يُعد مشرعاً ومسؤولاً عن رسالة، وربما لو فعل مثل ما فعل – عمر رضي الله عنه- لظن معظم الناس أنه لا يجوز الأخذ بالأسباب والحيطة والحذر مع أن الشريعة الإسلامية طلبت الأخذ بالأسباب.

وفي ضوء ما سبق نفهم أن مسؤولية الحاكم تختلف عن مسؤولية المحكوم، وواجبات كل إنسان تتحدد من منطلق إمكاناته وقدراته وعطاء الله له.

وهذا يؤكد ما قلناه سابقاً من أن الدعوة الإسلامية ليتسنى نشرها لا بد لها من قوى تقف وراءها بلا تفرقة بين عنصر وآخر من عناصر القوى المعروفة المالية أو الخلقية أو البشرية أو الاجتماعية، أو العلمية[٥٣].

قد يخطر في بال المسلم أن يقارن بين هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم، ويتساءل: لماذا هاجر عمر علانية متحدياً المشركين دون أي خوف ووجل، على حين هاجر رسول الله مستخفياً محتاطاً لنفسه ؟ أيكون عمر بن الخطاب أشد جرأة من النبي صلى الله عليه وسلم ؟!

والجواب : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو أي مسلم آخر غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدّ تصرفاً شخصياً لا حجة تشريعية فيه، فله أن يتخير من الطرق والوسائل والأساليب ما يحلو له وما يتفق مع قوة جرأته وإيمانه بالله تعالى.

([٥٣])ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٧، ص١٨٠، البوطي: فقه السيرة، ص١٦٤؛؟؟، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص٢٠.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مُشّرِع، أي أن جميع تصرفاته المتعلقة بالدين هي تشريع لنا، ولذلك كانت سنته هي المصدر الثاني من مصادر التشريع مجموع أقواله وأفعاله وصفاته وتقريره، فلو أنه فعل كما فعل عمر لحسب الناس أن هذا واجب !، وأنه لا يجوز أخذ الحيطة والحذر، والتخفي عند الخوف، مع أن الله عز وجل أقام شريعته في هذه الدنيا على مقتضى الأسباب ومسبباتها، وإن كان الواقع الذي لا شك فيه أن ذلك بتسبيب الله تعالى وإرادته .

لأجل ذلك، استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم كل الأساليب والوسائل المادية التي يهتدي إليها العقل البشري في مثل هذا العمل، حتى لم يترك وسيلة من هذه الوسائل إلا اعتدّ بها واستعملها، فترك علي بن أبي طالب ينام في فراشه ويتغطى ببرده، واستعان بأحد المشركين – بعد أن أمنه – ليدله على الطرق الفرعية التي قد لا تخطر في بال الأعداء، وأقام في الغار ثلاثة أيام متخفياً إلى آخر ما عبّأه من الاحتياطات المادية التي قد يفكر بها العقل، ليوضح بذلك أن الإيمان بالله عز وجل لا ينافي استعمال الأسباب المادية التي أراد الله عز وجل بعظيم حكمة أن يجعلها أسباباً.

وليس قيامه بذلك بسبب خوف في نفسه، أو شك في إمكان وقوعه في قبضة المشركين قبل وصوله المدينة، والدليل على ذلك أنه عليه الصلاة والسلام بعدما استنفد الأسباب المادية كلها، وتحلق المشركون حول الغار الذي يختبئ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه – بحيث لو نظر أحدهم عند قدمه لأبصر الرسول صلى الله عليه وسلم – استبد الخوف بقلب أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين كان يطمئنه صلى الله عليه وسلم قائلاً: (يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟) ولقد كان من مقتضى اعتماده على كل تلك الاحتياطات أن يشعر بشيء من الخوف والجزع في تلك الحال.

لقد كان كل ما فعله من تلك الاحتياطات إذاً وظيفة تشريعيه قام بها، فلما انتهى من أدائها، عاد قلبه مرتبطاً بالله عز وجل معتمداً على حمايته وتوفيقه، ليعلم المسلمون أن الاعتماد في كل أمر لا ينبغي أن يكون إلا على الله عز وجل، ولكن لا ينافي ذلك احترام الأسباب التي جعلها الله في هذا الكون أسباباً.

ومن أبرز الأدلة على هذا الذي نقوله أيضاً، حالته صلى الله عليه وسلم عندما لحق به سراقة يريد قتله وأصبح على مقربة منه، لقد كان من مقتضى كل تلك الاحتياطات الهائلة التي قام بها أن يشعر بشيء من الخوف من هذا العدو الذي يجدّ في اللحاق به، ولكنه لم يشعر بشيء من ذلك بل كان مستغرقاً في قراءته ومناجاته لربه لأنه يعلم أن الله عز وجل الذي أمره بالهجرة سيمنعه من الناس ويعصمه من شرّهم كما بيّن في كتابه المبين(٥٤).

الدرس السابع: قوة الإرادة والتصميم على إنجاح الدعوة:-

وإذا ما نظرنا إلى الهجرة لوجدنا أنها تمخضت عن معان نفسية وروحية، فهي حقيقية تاريخية ورمز روحي جميل يبرز الإرادة القوية على إنجاح الدعوة والتضامن في نشر رسالة الحق والجهاد، وتعبر خير تعبير عما يجب أن يكون عليه المسلم الحق في كل فترات حياته، ولا شك أنه قد تخلفت عن حادث الهجرة آثار نفسية جسيمة من أظهرها قوة الإرادة والتصميم على إنجاح الدعوة في ذلك لأن الهجرة كانت فراراً إلى الله والفرار إلى الله انتصار حتى ولو انتهى بالموت: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ الحج: ٥٨.

وبذلك فنحن مأمورون بالفرار إلى الله لأنه من صفات المؤمنين الصادقين وها هو سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ العنكبوت: ٢٦.

(٥٤) البوطي:فقه السيرة، ص ص١٨٥- ١٨٦.

الدرس الثامن : الهجرة عن المعاصي :-

ما أحوجنا إلى هجرة غير الهجرة المصطلح عليها، هجرة عن المعاصي والتزام بالطاعات، إن المؤمنين يفرون إلى الله ويهاجرون إليه يومياً، فهو هدفهم وغايتهم في جميع أعمالهم ومن كان كذلك فإن الله ينزل عليه السكينة وتطمئن نفسه ويسعد بالرضا حيث يؤيده الله بجنود لا تراها الأعين وأول مرحلة في سبيل الهجرة إلى الله سبحانه إنما هي النية الخالصة لوجهه الكريم، فإذا ما توجهت النية بالأعمال إلى الله تعالى كانت الأعمال هجرة إليه، فالعبادات الإسلامية على تعددها واختلافها إنما هي تسمو بالمؤمن إلى الصلة بالله وإلى النعيم في رضوانه وإلى السعادة في رحابه، فالصلاة بين يدي الله ومناجاته لحظة من الزمن، فهي هجرة إلى الله.

والزكاة انفصال عن جزء معلوم مما آتاك الله وصرفه حيث أمرك في مصارفها، فهي ذهاب إليه.

والصوم ابتعاد عن المادة فترة من الزمن تزكية للنفس وقربى إلى الله ،فهو ذهاب إليه، أما منسك الحج، فإنها صورة من التجرد لله بلغت الذروة والسنام وتبلورت في النداء الروحي الكريم: (لبيك اللهم لبيك)، بل منذ أن يعقد المؤمن النية، فيترك الأهل والأحباب ويهاجر إلى الله ليرى مهبط الوحي وأرض الرسالات ويتذكر الأحداث الجسام التي غيرت مجرى التاريخ.

أما الهجرة الشاملة لكل شؤون المرء، فإنما تتمثل في قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢،

ويقول الرسول الكريم: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية)، جهاد كل ميادين الجهاد، ونية خالصة وطاهرة متمحضة لله ورسوله. [٥٥]

([٥٥]) الفيومي، محمد محمد عيسوي: من المعاني النفسية للهجرة النبوية، مجلة منار الإسلام، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، أبو ظبي، العدد (١)، السنة (١٧)، المحرم ١٤١٢هـ/يوليو ١٩٩١م، ص ص٧٤- ٧٥.

الدرس التاسع: حب الوطن والانتماء له :-

عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة ثلاثة وخمسين عاماً حتى ألفها وألفته، ففيها مسقط رأسه، وفيها أهله وذووه، وفي جنباتها عاش طفولته وشبابه مع أصدقائه ومحبيه، وفيها اختاره الله تعالى ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين إلى العالمين.

وكان صلى الله عليه وسلم يتمنى أن يحتضن أهلهُ وعشيرته دين الإسلام ، فتكون لهم العزة والسيادة، ويفتح الله لهم أبواب الجنة، ولكن أهل مكة – إلا نفراً قليلا- كانوا حمقى، أغراهم ضلال آبائهم وأجدادهم، فأعرضوا عن الدعوة المحمدية وناصبوها العداء من أول وهلة، فكان الإيذاء للرسول صلى الله عليه وسلم ومن آمن بدعوته.

وكانت مكة المكرمة – رغم الإيذاء والتعذيب – حبيبة إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هنا عز عليه فراقها يوم هجرته. وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى والقدوة الحسنة في الانتماء للوطن – موطن رأسه – حينما نظر إلى مكة المكرمة وهو مهاجر منها، وقال قولته المشهورة التي يجب أن يقتدي بها الشباب المسلم في هذا الزمان الذي ضعف فيه حب الوطن والانتماء إليه، يقول الرسول المعلم: (والله إنك لأحب أرض الله إليّ، وأحب أرض الله إلى الله ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت).

ويتضح الانتماء للوطن من الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً عندما ذهب وزوجه خديجة إلى ورقة بن نوفل عمها، فقص عليه ما رآه من خبر الوحي، فقال له ورقة: (لتقاتلن ولتخْرجنّ)، قال: (أوَ مُخْرِجيّ هم؟) قال: (نعم، ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي) وسؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورقة بن نوفل (أو مخرجي هم) سؤال استنكار من محب لبلده منتم إليها، وكيف لا يحبها ولا ينتمي إليها وهي أحب بلاد الله إلى الله؟!

لذلك ما أحوجنا الآن إلى غرس قيمة الانتماء إلى أمتنا العربية والإسلامية وإلى وطننا الذي نعيش فيه، فنشرب من مائه، ونأكل من خيراته، ونتعلم في مؤسساته، وننعم بعدالة شرعه، وأن نهجر سلبيات استشرت بين شبابنا، وعبارات هدّامة تعمقت بلا

وعي أو إدراك في سلوك أبنائنا. فإن ذكرى الهجرة يجب أن تجدد في أقوالنا وأفعالنا تعميق وتأصيل قيمة تربوية مهمة، وهي قيمة الولاء لله ولرسوله، والانتماء للوطن والمجتمع والمدرسة والأسرة، وهذا هو دور التربية من خلال قنواتها الكثيرة والمتعددة وأدواتها وأساليبها المتنوعة[٥٦].

الدرس العاشر: التعاون :-

كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه المهاجرين بعد أن تركوا وطنهم مكة وخرجوا من ديارهم وأموالهم، موقفاً دقيقاً يتطلب التعاون والتضامن والتآخي والتآلف، ويقتضي أن يسود التآخي بين المهاجرين والأنصار الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الحشر: ٩، ولا غرو فقد شعر الأنصار بحاجة إخوانهم المهاجرين، وقدروا ظروفهم العصيبة، لذلك كانت قيمة التعاون سمة غالية، اتسّم بها الأنصار عن يقين واقتناع وإيمان، فتحولت من قول إلى فعل، ومن فكرة إلى سلوك، فآوَوْهُم ونصروهم، وضربوا في الإخلاص لهم والتعاون والتفاني في خدمتهم أروع الأمثلة التي لا يتسع المجال لذكرها، حتى لقد وصفهم الله عز وجل بذلك الوصف الرائع: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر: ٩.

لذلك علّنا نستفيد ونعي الدروس المستفادة من إحياء ذكرى الهجرة النبوية، ونغرس في نفوسنا ونطبق في سلوكنا قيمة التعاون التي تجلت في أحسن صورها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، وخصوصاً أن الأمة العربية والإسلامية في أمس الحاجة الآن إلى تطبيق قيمة التعاون بين شعوبها التي يعاني كثيرٌ منها الجوع والتشريد والبطش والقتل والظلم[٥٧].

---

(٥٦) حسانين: دروس من الهجرة النبوية، ص ص٩- ١٠.

(٥٧) حسانين: دروس من الهجرة النبوية، ص ١٠.

الدرس الحادي عشر: الطاعة :-

ضربت المرأة المسلمة – في الهجرة – المثل الأعلى والقدوة الحسنة للمرأة المطيعة لزوجها في سبيل الله تعالى، فهاجرت النساء مع أزواجهن ورفضن البقاء في مكة مع أهلهن وأقاربهن.

فها هي ذي رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم تهاجر مع زوجها عثمان بن عفان ولم تتركه يهاجر وحده ويعاني الغربة وشدائدها، وإنما آثرت أن تشاركه في الضرّاء كما شاركته في السرّاء، وأن تقاسمه آلام الغربة كما قاسمته أنس العيش.

ولم تكن السيدة رقية – رضي الله عنها – هي وحدها التي هاجرت إلى الحبشة، ولكن هناك الكثيرات من زوجات الصحابة رافقن أزواجهن، بل وكان بعضهن حوامل ولم يخشين على حملهن وما في بطونهن، وإنما كن يخشين غضب الله عليهن بسبب عصيان أزواجهن؛ ومن هؤلاء النسوة اللاتي هاجرن مع أزواجهن إلى الحبشة سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة بن عقبة، وقد وضعت ابنها محمداً في الحبشة، وكذلك أم سلمه التي صارت فيما بعد من أمهات المؤمنين، فقد هاجرت مع زوجها وولدت بنتاً سمتها زينب، وأيضاً هجرت أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب وولدت هناك ابنها، عبد الله، وأمينة بنت خلف التي هاجرت أيضاً مع زوجها خالد بن سعيد بن العاص وولدت ابنها سعيداً، وغيرهن كثيرات.

ولو قارنا بين ما فعلته النساء المهاجرات وبين ما تفعله نساء بعض هذا العصر لوجدنا العجب العجاب، فمنهن من يرفضن السفر مع أزواجهن إذ كان عمله في مكان بعيد عن أهلها وذويها، وكم فشلت زيجات لهذا السبب ومن ثم تحطمت حياة زوجية، لذلك يجب أن تقتدي فتاة هذا العصر بأمهات المؤمنين في طاعتهن لأزواجهن.

ونستطيع أن نضرب مثالاً آخر لطاعة الزوجة لزوجها لعله يكون قدوة لبنات هذا الجيل، فها هي ذي أم سلمه أول مهاجرة من المسلمات تخرج مع زوجها، يحملها على بعيره ومعه ابنه سلمة، فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه وقالوا: (هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟) قالت أم سلمة: (فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه، وغضب عند ذلك أهله)، فقالوا: (لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا)، وهنا تقول أم سلمة: (فتجاذبوا

ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي مهاجراً إلى المدينة)، إن موقفا كهذا يدل على مدى طاعة الزوجة لزوجها لولا أن أهلها أجبروها على تركه ما عصت زوجها.

فالطاعة درس مستفاد من الهجرة النبوية، وطاعة الزوجة لزوجها لا في الهجرة أو السفر فقط، وإنما الطاعة بمفهومها الشامل حرصاً على كيان الأسرة، وطاعة الأبناء لآبائهم، وطاعة التلميذ لأستاذه، وطاعة أولي الأمر، كل ذلك وغيره قيمة يجب أن تؤصل وتتعمق في سلوكنا خاصة. وإن ما يُسمع ويُقرأ ويُشاهد من معصية يجعلنا في أمس الحاجة إلى غرس قيمة الطاعة في نفوس أبنائنا، وهذا هو دور التربية الإسلامية ومؤسساتها، وهذه مسؤولية تحتاج إلى الترابط والتكامل والتماسك بين الأسرة والمدرسة على وجه الخصوص، حتى ينشأ أبناؤنا على طاعة الله ورسوله وأولي الأمر[٥٨].

الدرس الثاني عشر: الاستعانة بالشباب:-

تكشف مراحل الهجرة فيما بين مكة ويثرب (المدينة) بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعان إلى أقصى حد ممكن بقوة الشباب الفتية، وذلك عندما أمر علي بن أبي طالب - ﷺ - وكان لا يزال بعد شاباً يافعاً، بالنوم في فراشه وتدثره ببردته الشريفة، وذلك من أجل تضليل الكفار المتربصين برسول الله صلى الله عليه وسلم، أمام داره الذي خرج منها مهاجراً إلى يثرب، كذلك استعان موكب الهجرة الخالد بالعديد من الشباب، منهم على سبيل المثال بعض أبناء أبي بكر الصديق - ﷺ - سواء الذكور منهم أو الإناث، بل إن كل من أسهم في إنجاح حركة الهجرة بهذا المستوى الحضاري المنقطع النظير، كانوا من الشباب، وفي هذا دلالة أكيدة، على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤمن إيماناً جازماً، بأن الشباب هم عدة الأمم. لذا يجب على الأمة الإسلامية الاستفادة قدر الإمكان من الطاقات الهائلة للشباب في تحقيق البناء الحضاري الأمثل لأمتهم. ومع ذلك فإن ما نراه الآن في واقعنا المعاصر، هو عكس ذلك التصور تماماً، فالشباب- وللأسف الشديد- في معظم الدول الإسلامية، التي لم تنجُ

(٥٨) حسانين: دروس من الهجرة النبوية، ص ص ١٠- ١١.

من هذا الداء الخطير، أصبحوا يشكلون عبئاً اقتصادياً على دولهم، ومن ثم فإنه لابد من إعادة تأهيل الشباب اجتماعياً وثقافياً، وذلك لكي يسهموا وبحيوية في جعل أمتهم الإسلامية قادرة على استئناف دورها الحضاري من جديد، عبر دورة حضارية، قوامها الإيمان بالله، والاستيعاب الموضوعي لمعطيات العصر، أو بمعنى آخر التناغم التام بين قطبي (الأصالة والمعاصرة)[٥٩].

الدرس الثالث عشر: الاستعانة بالأعداء:-

يتضح من حركة الهجرة المباركة بصورة عملية مدى استفادة الرسول صلى الله عليه وسلم بخبرة الأعداء على اختلاف مشاربهم العقدية، وفي هذا دلالة أكيدة على أن الإسلام لا يعادي الاستفادة من الآخرين المتفوقين علينا حضارياً، حتى ولو كانوا أعداء لنا في العقيدة. وهذا من منطلق أن (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها) فهو أحق الناس بها ويتجلى هذا المفهوم بأوسع معانيه في حركة الهجرة، ومن خلال استعانة موكب الهجرة الخالدة، بخبرة عبد الله بن أريقط، الذي أدى دور الدليل على الطريق وبين مسارب الصحراء، حيث اتفق معه أبو بكر - ﷺ - على أن يقوم بهذه المهمة وهو الخبير بدروب الصحراء، ومواطن الراحة وأماكن الماء، مقابل دراهم معدودة.

إن عبد الله بن أُريقط هذا كان يومذاك، مشركاً على دين قومه، ومع ذلك قام بالمهمة كما ينبغي على الوجه الأكمل، وفي هذا وفاء نادر وذلك لأنه كان بين يديه مائة ناقة، لو عرّف القوم بمن معه لكنه الوفاء النادر أحد القيم التي عُرفت بها هذه الأمة، ومن أجلها اجتباها الله للرسالة الخاتمة.

يحضر عبد الله في الموعد الذي ضُرب له بعد ثلاث ليال عند غار ثور، ويقود الركب الكريم إلى المهاجر الطيب، في رشد تحرسهم عناية الله ورعايته [٦٠].

وفي ضوء هذا الموقف الحضاري الواعي من الآخر نستنتج وبكل الموضوعية، بأننا ينبغي ألا نأخذ من الآخرين المخالفين في التصور العقدي، إلا الجوانب الحضارية، في الإطار المادي من الحضارة (المدنية)، التي تساعدنا على النهوض والارتقاء الشامل، في

---

(٥٩) طه: حول مظاهر، ص٢٣.

(٦٠) طه: حول مظاهر، ص٢٤.

جميع مناحي الحياة وساعتها فقط نكون جديرين بالانتساب الحق لهذا المهاجر العظيم صلى الله عليه وسلم في يوم هجراه الأغر: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب: ٢١ [٦١].

الدرس الرابع عشر: الاستعانة بأهل الكتاب:-

لم يقف حد الاستعانة بالآخرين في موكب الهجرة، عند الأعداء فقط، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعان بخبرة عامر بن فهيرة (الكتابي) مولى أبي بكر - ﷺ - الذي كان مكلفاً بأمرين:-

أولهما: أن يحضر الأغنام إلى الغار، كي يشرب منها الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه ما يشاءان من اللبن.

ثانيهما: أن يعفي بهذه الأغنام على آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما- الذي كان يبلغ أخبار قريش لموكب الهجرة أولاً بأول[٦٢].

ونستشف من هذا السلوك الراقي، الذي لم يخش من التعامل مع المخالفين في الدين، ضرورة أن يكون موقفنا نحن المسلمين، الذين نقف قبالة بوابة الربع الثاني من القرن الخامس عشر الهجري/القرن الحادي والعشرين الميلادي- قرن التحولات الكونية- من الحضارة الغربية المعاصرة، التي هي بطبيعة الحال من صناع بشر، ينتمون في أغلبيتهم إلى الديانة المسيحية، هو الموقف التعاملي نفسه، الذي اعتمده رسولنا الأعظم صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الآخرين، فنميز بين الغث والسمين، من معطيات هذه الحضارة وهذا الموقف ينبغي أن يكون هو موقفنا الواضح من حضارة الأجناس الأخرى، كاليابان والصين والهند، وما إلى ذلك، رغم أن ديانة أغلبية هذه الشعوب هي الوثنية، إلا أن معطيات الحضارة المادية لا وطن لها وبالتالي لا نقتبس منها إلا ما ينفعنا في الحياة الدنيا، ونترك جانب ما يضرنا من سلوكياتها العابثة، التي لا صلة لها من قريب أو بعيد بالتقدم الحضاري الشامل وليس هذا هو المطلوب فحسب، بل ينبغي أن نكون فاعلين لا منفعلين، فلا نعيش عالة على المعطيات الحضارية

---

[٦١] طه: حول مظاهر، ص٢٤.

[٦٢] طه: حول مظاهر، ص ص٢٤- ٢٥.

للعصر، بل لابد أن نسهم إسهاماً حيوياً في تشكيل الوجه الحضاري للعصر، ولاسيما في الشق المادي (المدنية) ونعمل جاهدين على تغيير الشق المعنوي (الثقافة) وفقاً للنسق الإسلامي، وفي هذا الإطار فليس ثمة أخْيَر من سلوكيات الرسول صلى الله عليه وسلم نتأسى بها ونقتدي بهديها الوضّاء: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ الحشر: من الآية ٧[٦٣].

الدرس الخامس عشر: الاستعانة بالمرأة:-

لم يفت موكب الهجرة المبارك، وهو في طريقه من مكة إلى يثرب (المدينة) أن يستفيد إلى أقصى حد ممكن، من إمكانيات المرأة الديناميكية (الحركية) ويتضح ذلك من خلال الدور الفاعل الذي قامت به أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما– التي كان عليها إذا ما دجى الليل أن تحمل من الزاد ما يصلحهما- أي الرسول صلى الله عليه وسلم وأبيها - ﷺ -[٦٤].

وبهذا تكون مهمة نقل الغذاء لموكب الهجرة الخالد، قد تكفل بها جندي آخر هو أسماء التي لم تكن تقل فعالية عن الجندي الأول (عامر بن فهيرة)، ولكن تقوم أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما- بهذه المهمة خير قيام لا يقل عن الرجال في هذا الإطار شقت نطاقها لتستعين به على حمل الطعام للنبي وأبيها، فمنحها التاريخ الأغر وسام ذات الناطقين، وأكرم بهذا من وسام[٦٥].

وفي هذا المظهر الانفتاحي الرائد للمرأة المسلمة، في عصر التوحيد الأول، نرى كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يعيش أخطر لحظات حياته، وحياة الأمة المصيرية لم ينس أن يؤكد لهذه الأمة، التي كان يرنو بثاقب بصره إلى تكوين دولتها الوليدة وحضارتها الباسقة، هنالك على أرض طيبة الطيبة، بأن المرأة التي صاغها الإسلام، كأحسن ما تكون الصياغة هي شقيقة للرجل في أداء كل المهام، التي من شأنها تغيير مسار حياة الأمة نحو الأفضل دائماً.

---

(٦٣) طه: حول مظاهر، ص ص ٢٤- ٢٥.

(٦٤) طه: حول مظاهر، ص٢٥.

(٦٥) طه: حول مظاهر، ص٢٥.

ومن هنا يمكن القول: إن هذا الموقف يعتبر ولا ريب بمثابة مؤشر حيوي، يدل على أن دور المرأة المسلمة في صياغة التحولات الحضارية الكبرى، في تاريخ أمتها، لا يقل بأي حال من الأحوال، عن دور الرجل المسلم، إن لم يكن يتفوق عليه في بعض المناحي، التي يتسم بها تكوين المرأة بيولوجياً ونفسياً وذلك بما للمرأة من خصائص متمايزة حباها الله عز وجل بها دون الرجل. أليست هي صانعة الرجال؟ والحضن الحاني لتكوينهم التكوين الأمثل؟ ومن ثم لا يمكن للرجل –أي رجل- أن يكون رجلا راشد ذا فعالية في بناء صرح أمته الحضاري على الوجه ا لأكمل، إلا إذا كانت تربيته تربية راشدة مبنية على أسس إيمانية، تستلهم الهدى الإلهي في الإطار وفي هذا رد مفحم على بعض دعاة التغريب في واقعنا الثقافي المعاصر، من هؤلاء الذين يحاولون جاهدين التقليل من أهمية دور المرأة البارز في بناء الحضارة الإسلامية ويستندون إلى حجج واهية ما أنزل الله بها من سلطان، وذلك بغرض الإيعاز إلى الناس بأن الإسلام لم ينصف المرأة، وهو بالتالي سبب ما تعانيه في بعض المجتمعات الإسلامية.

فها هو الدليل الناصع، نقدمه لهم من خلال ذلك الدور الحيوي لأسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما – حيث ساعدت وبفعالية في إنجاح مسيرة الهجرة المباركة سواء على المستوى الغذائي، أم الأمني، وهما مستويان ضروريان للبناء الحضاري في كل زمان ومكان كما أن أسماء بنت أبي بكر، قد ضربت المثل الأعلى للمسلمة في الشجاعة والإقدام وذلك من خلال تصديها لجبروت أبي جهل- فرعون هذه الأمة- فرضت إفشاء سر المهاجرين العظيمين وتحملت الإهانة منه عندما لطمها على خدها الأنور.

وفي هذا درس عملي للمسلمة المعاصرة، وذلك لكي تثبت على مبادئ الإسلام الخالدة، ولا تميل كل الميل مع التيارات الضالة التي تريد تشويه الوجه الحضاري المشرق لهذا الدين من خلال بلبلة مفاهيمه سواء أكانت شرقية أم غربية وذلك بحجة اللحاق بالعصر، ومن قال إن اللحاق بالعصر، لابد وأن يتم على حساب الثوابت الإيمانية والحضارية لهذه الأمة[٦٦].

([٦٦]) طه: حول مظاهر، ص ص ٢٥- ٢٦.

الدرس السادس عشر: دور المسجد :-

بناء المسجد، فبناء المسجد وعنوان وحدة الأمة.. يقف فيه المسلمون أمام ربهم كل يوم خمس مرات في الصلوات الخمس، والمسجد في الإسلام هو دار الإيمان وخلو العُبَّاد، وديوان الصالحين، وجامعة الدارسين، ووجهة القاصدين، ومورد السائلين.. يحب الله من سار إليه ويكتب له في كل خطوة حسنة ويضع عنه فيها سيئة.. لذا فقد أصَّل المصطفى صلى الله عليه وسلم دور المسجد في مسيرة هجرته الشريفة ليكون أساساً في عقيدة المسلمين وحياتهم الدنيوية[٦٧].

لما كان للمساجد أهميتها ودورها الذي لا ينكر في مجال الدعوة إلى العقيدة والالتزام بالأخلاق الفاضلة، وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم، يهتم بها ولذلك كان أول شيء فعله بالمدينة هو بناء المسجد، ومن هنا وجب علينا الاهتمام بالمساجد والاعتناء بها لأنها تحقق ارتباط الأجيال العديدة من الشباب به لحمايتهم من أي انحراف وتعريفهم بحقائق الدين السمحة وأصوله السامية ومبادئه التي تهدف لخير الفرد والأسرة والمجتمع.

كما أن المسجد يؤدي دوراً عظيماً في بناء العلاقات الاجتماعية بين الناس وتقويتها ونرجو الله أن يعود للمسجد دوره الريادي في مختلف المجالات الاجتماعية والتربوية والعسكرية وغيرها من سائر مجالات الحياة.

ونتمنى أن يكون للمسجد الدور المؤثر في إيجاد الصلات القوية وتحقيق المحبة بين الناس والتعاون على الخير والتعويد على كل عمل صالح مفيد.

ومن الممكن أن يتحقق كل هذا كما كان المسجد في القديم إذا أعدنا النظر في الاهتمام بالمساجد والاعتناء بها وبيان مكانتها ومنزلتها في نفوس الناس[٦٨].

إن المؤاخاة التي طبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار حريٌّ بها أن تكون وثيقة مهمة نسير عليها في حياتنا اليومية لنقترب على الأقل من منهج المسلمين الأوائل الذين كانوا يؤثر على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

---

(٦٧) القراوي: دروس من الهجرة النبوية، ص٩٨.

(٦٨) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص٢١.

ولو فعل الغني مع الفقير مثل ما فعل سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف لانتصرنا على مشاكلنا كلها واجتزنا العقبات التي تواجهنا بحيث نصبح كالجسد الواحد والبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضاً، فلنغرس في نفوسنا ونفوس أبنائنا حب الفضيلة والتخلي عن الرذيلة ولندعم صلاتنا ليتحقق التكافل فيما بيننا ولنعلم أن الأخوة الإيمانية مقدمة على أخوة النسب[٦٩].

الدرس السابع عشر: مواقف مشرفة:-

استطاعت المدرسة التي أسسها النبي صلى الله عليه وسلم في مكة خلال ثلاث عشرة سنة أن تقوم بمهامها على أكمل وجه، بحيث كانت بحق هي القاعدة الأساسية في بناء الدولة الإسلامية في المدينة المنورة.

وعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى فرد من أفراد هذه المدرسة وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فإننا نجده سر سروراً عظيماً حين علم بنبأ صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنه: (فو الله ما شعرت قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ)[٧٠]، وهذا يفسر قول النبي صلى الله عليه وسلم في شأنه لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبي بكر.

وكيف لا؟ وقد حاول شراء الراحلتين على نفقته الخاصة لولا أن النبي صلى الله عليه وسلم أصر على أن يدفع ثمن إحداهما ليحظى بأجر المساهمة بالمال مع التضحية بالجهد[٧١] لتكون كلمة الله هي العليا وليعلم الدعاة أنهم لا ينبغي أن يكونوا عالة على غيرهم فهم مصدر العطاء وجرت العادة أن الناس يتأثرون بلغة الحال أكثر من لغة المقال.

و أخذ أبو بكر كل ماله لينفقه على الدعوة وليكون سبباً في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة. ثم انظر إلى موقف أبنائه وعامر بن فهيرة، وسير أبي بكر أمام

---

(٦٩) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص ص ٢٠- ٢١.

(٧٠) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص١٣٠، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٩.

(٧١) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص١٩.

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يذكر الرصد. وسيره خلفه حين يذكر الطلب، وتضحيته بنفسه، ودخوله الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستكشف ما بداخله من هوام أو حشرات، وتقطيع ثوبه لسد الفتحات الموجودة في الغار ونهش الحية لكعبه وبكائه دون أن يزعج رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يشعره بشيء.

كل هذا وغيره حريٌّ به أن يكون سبباً في خلود ذاكره الطيبة، وأن يكون الخليفة الأول بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لا نعجب حين نقرأ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً) [٧٢].

وكذلك لو نظرنا إلى موقف علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- استعداده للتضحية بنفسه ومبيته مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم للتمويه على كفار مكة ورده الأمانات والودائع لهم كل هذا يعلمنا أن الدين يحتاج إلى الرجال بقدر ما يحتاج إلى المال والحاكم القوي وكم يكون انتشار الإسلام سريعاً حين يكون هناك قوة تحميه وتؤيده [٧٣].

الدرس الثامن عشر: الهجرة عزة ونجاة:

إذا كانت الهجرة تعني الانتقال من أرض مكة إلى المدينة المنورة قبل فتح مكة[٧٤]، وهذا قد انتهى بفتح مكة، فإن هذا لا يعني أن الهجرة بالمعنى اللغوي لم يعد لها وجود، والهجرة أقرت معاني قديمة ومفاهيم حديثة كلها تتصل بالمادة اللغوية لكلمة الهجرة. فهجرة المعاصي والاشتغال بالطاعات يعد هجرة فالمهاجر من هجر ما نهى الله عنه وحين يغضب الإنسان لأمر فعليه أن يهجر المكان الذي تلبس به الشيطان فيه ويغيّر من وضعه لحالته، والهجر نوع من العلاج للزوجة.

حين تلجأ إلى التمرد والنشوز قال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ النساء: ٣٤ ، فهجرها نوع من الإصلاح شريطة ألا يطول

---

(٧٢) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٧، ص١٨٠، البوطي: فقه السيرة، ص١٦٤، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص١٩.

(٧٣) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص ص١٨- ١٩.

(٧٤) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص ص ١٦- ١٧.

الهجر حرصاً على بقاء الصلة بينهما، يقول ابن عباس رضي الله عنهما (يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها) [٧٥]، وقيل: يعتزل عنها إلى فراش آخر، بل جعل الإسلام فرصة هجر الصديق لصديقه لسبب من الأسباب محدودة قال عليه الصلاة والسلام: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) [٧٦].

وهذا الإنسان الذي لا يتمكن من إقامة شعائر الله تعد الدار التي يعيش فيها كدار الحرب بحيث إن بقي فيها عُدَّ عاصياً قال تعالى في شأن المستضعفين في الأرض ﴿ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾ النساء: ٩٧، وهذا الإنسان الذي لم يتسن له القيام بمهمته وأداء واجبه نحو دينه عليه أن يهجر هذا المكان إلى مكان آخر ليستطيع أداء رسالته والقيام بواجبه وتحقيق خلافته لله في أرضه[٧٧]، وهؤلاء الذين لم يتيسر لهم سعة الرزق في بلادهم يلجأون إلى الهجرة والترحال، ففي الحركة بركة.

كل هذه المفاهيم تؤخذ من مادة الكلمة (الهجرة) التي فيها النجاة والسلامة وتحقيق الذات [٧٨].

الدرس التاسع عشر: محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم:-

تكشف الصورة التي استقبلت بها المدينة المنورة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدى المحبة الشديدة التي كانت تفيض بها أفئدة الأنصار من أهل المدينة رجالاً ونساءً وأطفالاً. لقد كانوا يخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة ينتظرون تحت لفح الشمس وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم. حتى إذا ذهب النهار ليدبر.عادوا أدراجهم ليعودوا إلى الانتظار صباح اليوم الثاني. فلما طلع الرسول عليهم جاشت العواطف في صدورهم وانطلقت ألسنتهم تهتف بالقصائد والأهازيج فرحاً لمرآه عليه الصلاة والسلام ومقدمه عليهم. ولقد بادلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة

---

[٧٥] ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص١٧.

[٧٦] البوطي: فقه السيرة، ص١٥٥، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص١٧.

[٧٧] ابن القيم: زاد المعاد، ج٣، ص٥١، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص١٧.

[٧٨] ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية،ص ص ١٦- ١٧.

ذاتها، حتى إنه جعل ينظر إلى ولائد بني النجار من حوله، وهن ينشدن ويتغنين بمقدمه قائلا: أتحببني؟ والله إن قلبي ليحبكن.

يدلنا كل ذلك أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست في مجرد الاتباع له، بل المحبة له هي أساس الاتباع وباعثه، فلولا المحبة العاطفية في القلب لما وُجد وازع يحمل على الاتباع في العمل.

ولقد ضلَّ قوم حسبوا أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لها معنى إلا الاتباع والاقتداء، وفاتهم أن الاقتداء لا يأتي إلا بوازع ودافع. ولن تجد من وازع يحمل على الاتباع إلا المحبة القلبية التي تهز المشاعر وتستبد بالعواطف، ولذلك جعل الرسول صلى الله عليه وسلم مقياس الإيمان بالله امتلاء القلب بمحبته صلى الله عليه وسلم بحيث تغدو متغلبة على محبة الولد والوالد والناس أجمعين. وهذا يدل على أن محبة الرسول من جنس المحبة الوالد والولد أي مصدر كل منهما العاطفة والقلب وإلا لم تصح المقارنة والمفاضلة بينهما[٧٩].

الدرس العشرون: تقدير عظمة الثبات على المبدأ:-

تقدير عظمة الثبات على المبدأ وتشيد بفوز الحق الذي كتب له الخلود مع الدنيا، الحق الصابر على المحن والخطوب، الحق الممثل في محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: ٤٠[٨٠].

(٧٩) البوطي:فقه السيرة، ص١٨٨.

(٨٠) البنهاوي، محمد زكي: الهجرة المحمدية ومزاياها الخالدة في الإسلام، مجلة منار الإسلام، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، أبو ظبي، العدد (١)، السنة(١٤)،محرم ١٤٠٩هـ/أغسطس ١٩٨٨م، ص٢٣.

الدرس الحادي والعشرون: وعي قيمة تصميم أهل الهجرة، ويقين أهل الهجرة، وأمل أهل الهجرة، وثبات أهل الهجرة:-

وعي قيمة تصميم أهل الهجرة، ويقين أهل الهجرة، وأمل أهل الهجرة، وثبات أهل الهجرة إن الشعوب الإسلامية اليوم وقد تباعد ما بينها وبين حقيقة دينها لابد لها من عودة مبصرة إلى حقائق هذا الدين حتى تستطيع أن تواجه الموجة الكاسحة التي تبرز اليوم من خلال الأحداث تواجه الصراع المصيري وترد الغزو[٨١].

الدرس الثاني والعشرون: إن الله تعالى أرحم بنبيه وصاحبه، وأرحم بالمؤمنين في كل زمان ومكان:-

إن الله تعالى أرحم بنبيه وصاحبه، وأرحم بالمؤمنين في كل زمان ومكان من أن يجعلهم في قبضة عدوه وعدوهم، فقد أكد سبحانه حمايته لنبيه حين تخلت عنه قوى الأرض، فالملائكة تظلهم بأجنحتها، وسكينته تحيط بهم، وعنايته ترعاهم، وأن الدعاة إلى الله بحاجة دائماً وأبداً أن يكون راسخاً لديهم وفي أعماقهم عون الله لهم وعنايته بهم، حين تعجز قوتهم البشرية عن إدراك ما يخطط له العدو بعد استنفاد الطاقة واستفراغ الجهد والوسع وأن يكون لديهم اليقين التام والقناعة الدائمة كذلك أن النصر أولاً وأخيراً بيد الله وحده.

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: ٤٠، فلا بد للمسلمين اليوم وغداً إن أرادوا أن يخرجوا من هذا المأزق الخطير الذي يعيشون فيه اليوم أن يبذلوا طاقتهم في التخطيط البشري، وأن يستفرغوا وسعهم كما فعل رسول الله صلى الله وسلم وأصحابه. وبعد ذلك يكون حسن توكلهم على الله بعد أخذهم لجميع الأسباب، ولابد بعد ذلك من القبول التام لقضاء الله وقدره،

(٨١) الخطيب: الهجرة النبوية .. مواقف ودروس لرجال الدعوات، ص٧.

وتطمئن إلى أنه الخير كله للإسلام والمسلمين. ووعد الله لعباده المؤمنين هو الحق كله يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ غافر: ٥١[٨٢].

الدرس الثالث والعشرون: مقاومة اليأس في نفوس بعض المسلمين اليوم:

دب اليأس في نفوس بعض المسلمين اليوم لضعف المسلمين ولكن بالنظر إلى حال الأمة المسلمة قبل الهجرة وهي متمثلة في النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وكيف كان حال الصحابة ما بين قتيل أو طريد أو حبيس، والنبي الكريم يؤذى وتتم محاولة قتله ومع ذلك لم ييأس النبي ولا أحد من المؤمنين.. ولكن لما حققوا شرط: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ محمد، من الآية: ٧. تحقق وعد الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ آل عمران، من الآية: ٩. ويمكن الاستفاضة في تلك النقاط، ومطابقة الحال بالحال وبيان عودة النبي بعد ذلك في فتح مكة فاتحاً ظافراً، وحوله عشرة آلاف من الصحابة، جُند الإسلام، فقارن بين خروج النبي من مكة وعودته بعد ثمان سنين[٨٣].

دروس أخرى منها:-

١) من يجاهد من أجل دينه يعطيه الله أجر الدنيا والآخرة أما من يعمل لدنياه، فلن يبقى له منها شيء، وسيكون في الآخرة من الخاسرين.

٢) عدم إفشاء السر حتى تسنح الفرصة ويأتي الوقت المناسب، فلا تتسرب الأسرار إلى العدو بذلك تكون فرصة النصر أكبر، وقد ضرب الرسول مثلاً رائعاً في كتمان السر من خلال تخطيطه للهجرة.

---

(٨٢) الخطيب: الهجرة النبوية .. مواقف ودروس لرجال الدعوات، ص٧.

(٨٣) غنيم، محمد عبد الرحمن: كيف نتعامل مع السيرة النبوية الهجرة النبوية نموذجاً، مجلة المنتدى، العدد (٧١)، محرم ١٤٢٣هـ/مارس ٢٠٠٢م، ص ٤٧.

٣) لزوم التخطيط السليم والإعداد الجيد في الأمور الهامة والتوكل على الله والاستعانة به في هذه الأمور كما قال تعالى على لسان رسوله لصاحبه: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة، من الآية: ٤٠ .

٤) تقوية عزائم الجند ورفع معنوياتهم مما يدعوهم إلى الثبات وعدم الردة عن القائد وقد أشرنا إلى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من آل ياسر.

٥) على الجند حماية القائد لأن القائد هو السلاح الأقوى في المعركة ولو ذهب لتفككت الروابط وضاعت الفرصة وانهزم الجند، وقد ضرب أبو بكر مثلاً رائعاً في حماية القائد.

٦) جاءت الهجرة انتصار لصاحب الحق على أصحاب الباطل مهما كان عنادهم وكثرتهم لأن قوة الحق هي القوة الباقية وقوة الباطل مؤقتة زائلة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٞ ٤٠﴾ الحج: من الآية ٤٠[٨٤].

٧) الحزم البالغ، والحس الأمني العالي لدى النبي صلى الله عليه وسلم حيث تحرك في الوقت المناسب، ودونما تأخير، وذلك حين علم بعزم قريش على تبييته، واختياره صلى الله عليه وسلم الوقت المناسب للذهاب إلى بيت أبي بكر، وهو وقت القيلولة، وسؤاله حين دخل إلى البيت: من عندك.

٨) السرية التي أحاطت الخطة حتى النجاح دليل على أهميتها في كل عمل يكتنفه الصراع من الكفار أو المنافقين.

٩) بيان فضل أبي بكر باختيار النبي صلى الله عليه وسلم له دون غيره، فكان هذا الاختيار من أعظم التوفيق للنبي الكريم، كما كان فيه الإشارة إلى تأييد الله عز وجل لنبيه وحسن رعايته سبحانه لتلك الخطوات المباركة في رحلة الهجرة، وهي منقبة عظيمة لأبي بكر سجلها القرآن الكريم منوها بما كان عليه - ﷺ - من الحب للنبي والخوف عليه وتفديته بنفسه، ولقد علمت أمة الإسلام أنه أفضل الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم.

---

(٨٤) محمدين، نعيم: دروس من الهجرة، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، العدد (٢٥٣)، ص ١٢٤.

١٠) فدائية علي - ﷺ - بمبيته في فراش النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعلم بالأمر تدل على أن التربية الإيمانية هي وحدها الجديرة بتقديم مثل هذه النماذج الرفيعة في الجندية والشهامة والرجولة.

١١) في تكليف النبي صلى الله عليه وسلم عليا برد الأمانات التي عنده للمشركين دليل على أن القيم الأخلاقية لا تهتز في منظور الإسلام تحت أي ظرف من الظروف مهما كانت شدته وقسوته.

١٢) في ائتمان المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم على أمانتهم رغم جحودهم لدعوته ما يؤكد أن الداعية والمصلح بإمكانه أن يؤسس أرضية طيبة من الثقة والاحترام لدى المدعو تهيئة فيما بعد لتقبل الدعوة، وهو ما كان من قريش حيث دخلوا جميعا في الإسلام.

١٣) إذا تمكن الإيمان من النفس وخالطت بشاشته القلوب أرخص المؤمن كل شيء في سبيل عقيدته، فهذا أبو بكر لم يقل: أجنب أبنائي الأخطار، لاسيما البنات، بل تجلى صدق إيمانه في كل خطوة من خطوات الرحلة، فكانت نصرة الدين أعلى وأغلى عنده من النفس والولد والمال، وبمثل هذا الصدق تنجح الدعوات وتنتصر.

١٤) ومن دروس الهجرة أن نصرة الدين يجب أن تكون أعلى من كل اعتبار، فالوطن العزيز على النفس جبلة، يتركه المؤمن حين يعتقد أن في تركه نصرة لعقيدته ورفعا لرايته، فقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم مكة وهي أحب البقاع إليه لما خشي على أصحابه الفتنة، ولما أراد أن يؤسس للإسلام دولة.

١٥) توقير أبي أيوب للرسول صلى الله عليه وسلم ورعاية حقه حيث شق عليه أن يسكن في الدور العلوي من البيت والنبي صلى الله عليه وسلم في الدور الأرضي ففيه منقبة لأبي أيوب ودليل على وفور عقله وصدق إيمانه.

١٦) وجوب الهجرة للقادر عليها ممن يخشى على دينه في أرضه، وقد نعى الله تعالى على مَنْ فرطوا في الدين وتعللوا بالاستضعاف قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ٩٧. أما قوله صلى الله عليه وسلم:(لا هجرة بعد الفتح) فمعناه أنه لا هجرة واجبة من مكة إلى المدينة

بعد فتح مكة، ولكن جهاد ونية، وذلك أن الأسباب التي كانت موجبة للهجرة وهي الفتنة قد انتفت.

١٧) وفي الهجرة مشروعية فرار المسلم بدينة والاختباء من الطغاة والظالمين، وأن ذلك لا ينافي الإيمان، وقد هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه سراً واختبأ في الغار، وهاجر عمر سراً، وقد فر موسى عليه السلام- وهو من أُولي العزم- من فرعون وقومه، وفر أهل الكهف من ملكهم الكافر، واختبأ الإمام أحمد لما طلب في أول الأمر أيام المحنة.

١٨) أن الأدب مقدم على الامتثال فقد بقي النبي صلى الله عليه وسلم في الدور الأرضي من بيت أبي أيوب، فثبت بإقراره صلى الله عليه وسلم أن يسكن أحد فوقه مشروعية ذلك، ولو كان ذلك لا يجوز لبين لأبي أيوب إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة كما هو مقرر في علم الأصول، فكان هذا يكفي أبا أيوب إلا أن عظيم توقيره للنبي صلى الله عليه وسلم وصدق إيمانه ورهافة حسه أبت عليه إلا أن ينزل هو وزوجه لينتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدور الأعلى، فقدم الأدب على الامتثال للحكم الثابت بإقراره صلى الله عليه وسلم.

١٩) مشروعية المعاريض عند الحاجة إليها، ففيها مندوحة عن الكذب وسائر ألوان التمويه والتعمية بقدر الحاجة فحسب، إذ الضرورة بقدرها كما تقرر في الأصول، فقد قال أبو بكر لمن سأله عن الرجل الذي معه: هذا يهديني الطريق يقصد الهداية إلى الحق، ويفهم السائل أنه خبير بالطرق والدروب في السفر، وكان ذلك في مثل تلك الحال[٨٥].

٢٠) تغيير البيئة فهو مفهوم تخطيطي للوصول إلى النجاح، وقد أكده الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢١) صلة الرحم: يؤكدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدرسة الهجرة في إقامته عند أقربائه من بني النجار.. وذلك لعظم مكانة صلة الرحم كما جاء في الحديث القدسي قال صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: (أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسماً من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته).

---

[٨٥] العدوي: من دروس الهجرة،مجلة السنة، العدد (١١٤)، محرم ١٤٢٣، ص ص ٩٨- ١٠٢.

٢٢) الأخوة في الإسلام من الأصول المهمة في جمع شمل المسلمين وترابط صفوفهم وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم عليها في هجرته ليتخذها المسلمون عبرة ودرساً يستفاد منه. فقد قال صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [٨٦].

كانت تلك الدروس المستفادة من الهجرة النبوية التي اشتملت على قيم تربوية إسلامية يجب أن يغرسها الآباء والمربون في أبنائهم لتصبح سلوكاً اجتماعياً وأخلاقياً في حياتهم ، لينعكس ذلك على الفرد والمجتمع ، ولنعيد للأمة العربية الإسلامية حضارة اندثرت آثارها، ووحدة تفرقت أوصالها، وقوة ضعفت أجزاؤها، وتلك مسؤولية مؤسسات التربية في المجتمع العربي والإسلامي الذي يجب أن يكون القرآن الكريم منهجه، والسنة النبوية مصدره، وسيرة صحابته قدوته، وتاريخه العربي الإسلامي دراسته ومبحثه، وبهذا يكون احتفالنا بذكرى الهجرة النبوية قد أدى مغزاه، وحقق أهدافه، ونفذ نتائجه وغايته[٨٧]. وتلك لمحات عما تمخضت عنه الهجرة النبوية المطهرة والتي ينبغي أن يلتزم بها المسلم في كل شؤون حياته حتى ينعكس أثرها الطيب على سلوكياته في المجتمع، فتسود روح الألفة والمحبة بين المجتمع.

---

[٨٦] القراوي: دروس من الهجرة النبوية، ص٩٨.

[٨٧] حسانين: دروس من الهجرة النبوية، ص ١٢.